



الإصلاح الديني في سويسرا :

تتكون سويسرا في العصر الحديث من اتحاد مجموعة من المقاطعات (الكانتونات)، وحصل اتحادها هذا على اعتراف الإمبراطورية الرومانية المقدسة في بواكير القرن السادس عشر حيث كان اتحادها عام ١٥١٣م وضم ثلاث عشر كانتوناً.

لقد كانت سويسرا تعاني من تدخل الدول الأوربية المجاورة لها في شؤونها الداخلية واستخدام السويسريين المرتزقة في حروب الجيوش الأوربية، وكانت المقاطعات الكبيرة تتدخل كوسيط بين الحكومات الأوربية والمقاطعات الصغيرة الريفية في جمع المرتزقة، وإرسالهم إلى ساحات المعارك في مختلف الجبهات وأراضي البلدات الأوربية المختلفة، وأن القوة الواعية في أوربا كانت تدرك الآثار الخطيرة الناتجة عن هذا الظاهرة التي من شأنها أن تعيق في تحقيق هدفها في إقامة دولة مركزية موحدة، لذا استقبلت هذا الأوساط حركة الإصلاح الديني بالموافقة والترحيب، وحاولت أن تستخدمها كوسيلة نحو بعث سويسرا من أجل أن تكون قوة...

أصبحت زيورخ مركز الحركة الزوينكلية، وسرعان ما انتشرت في باقي المدن السويسرية أمثال بيرن Berne، وبازل Basle، وسان هيلين Sanhelan وغيرها، ومن الجدير بالذكر أن المقاطعات الحضرية (البروتستانتية)، دعمت الحركة الزوينكلية، بينما وقفت المقاطعات الريفية (الكاثوليكية) إلى جانب البابوية والإمبراطور ضد الزوينكلية، مما أدى هذا الموقف إلى اندلاع الحرب بين الطرفين أي الحضرية والريفية، وأسهم زوينكلي بنفسه في المعارك، حيث لقي مصرعه في موقعة كابيل في الحادي عشرة من تشرين الأول ١٥٣١م ومزق جسده إلى أربع أجزاء، ثم أحرق على محرقة نصبت فوق الروث، والحقت الهزيمة بالمقاطعات الحضرية (البروتستانتية) .

وفي شهر تشرين الثاني ١٥٣١م، عقد صلح كابيل، بعد وساطة ملك فرنسا، وتقرر أن يكون لكل مقاطعة الحق في تقرير مسائل الدين، ومن غير تدخل خارجي ومنذ ذلك الوقت بقية سويسرا مقسومة بين البروتستانت والكاثوليك .

حركة كالفن في جنيف :

ترك موت زوينكلي البروتستانت السويسريين دون قائد بارز، حيث أوقف موته انتشار مذهبه داخل سويسرا وخارجها، إلا أن تعليماته بقيت حية بعد تبنيها من قبل المصلح الفرنسي جون كالفن Jean Calvin (1506 - 1564م) الذي يُعود من عائلات الطبقة الوسطى في بلدة نويون Noyon الواقعي شمال شرق فرنسا .

التحق كالفن بجامعة باريس لدراسة علم اللاهوت، وأتقن اللغات القديمة، ودرس التاريخ والقانون واللاهوت الكاثوليكي والبروتستانتي، حتى حصل على معلومات وفيرة عن الكنيسة ورجالها وتاريخها، وتعرف بعمق على الكتاب المقدس وقد تحول إلى بروتستانتي عقائدي متأثراً في بواكير مشواره بأفكار لوثر، وعندما بدأت الحكومة الفرنسية باضطهاد البروتستانت فرا كالفن إلى ألمانيا هرباً من قمع الحكومة، ومن ثم اتجه إلى مدينة بازل السويسرية، وقد رُشح إلى جنيف عام ١٥٣٦م لقيادة حركة الإصلاح الديني فيها .

تُعد مدينة جنيف في القرن السادس عشر، خارج الاتحاد السويسري، حيث كانت ذات استقلال داخلي، وتقع ضمن الإمبراطورية الرومانية المقدسة، أعلن أهالي جنيف نبذهم للطقوس البابوية، وفي عام ١٥٣٦م بدءوا بثورة ضد أمير دوقية سافوي Savoy، الذي أراد أن يفرض عليهم المذهب الكاثوليكي، وقد كان وليم فاريل Farrel، من أبرز قادة تلك الدعوات وثورة الإصلاح في المدينة ، إذ كان كالفن تؤيد سكان المدينة في مذهبهم البروتستانتي ضد أصل الأمير، الذين شكلوا مجلساً بلدياً لحكم مدينتهم، ووقفوا ضد سلطة الدوق وسلطة أسقف المدينة المتحالفين معاً، وبمساعدة قوات مدينة برن Bran، أستطاع الثوار من إلحاق الهزيمة بقوات الدوق وتمزيق شملها، وأعلن مجلس مدينة جنيف عقيدة الإصلاح الديني عام (١٥٣٦). (٢١١) وفي هذا العام وصل كالفن إلى مدينة جنيف بدعوة من فاريل ومجلس المدينة لتنظيم شؤون الكنيسة فيها ،وبدأ كالفن واعظ المدينة ثم أصبح الراعي الأول لأبرشيتها .

ومع حلول شهر آذار ١٥٣٦م، أصدر كالفن كتاباً، أطلق عليه اسم (تنظيمات الدين المسيحي)، الذي أشتهر به، وعرف بأنه أقوى وأكمل أثر في الديانة البروتستانتية، وأعظمها في ذلك العصر، وقد طبع هذا الكتاب في حياة كالفن خمس وعشرون مرة، حيث أصبح نواة المذهب الكالفيني .

لقد ضم كالفن في كتابه مفاهيم جديدة لحركة الإصلاح الديني، وعموماً فإنه التقى تارة وأختلف تارة أخرى مع لوثر في العديد من الأمور، فقط أتنق معه في جعل الكتاب المقدس المرجع الوحيد في قضية العقيدة والإيمان دون اللجوء إلى البابا، ولكنه اختلف عن لوثر في موضوع الغفران الذي حسب رأي كالفن هبة من الله يقدرها لعبادة منذ الأزل بغض النظر عن أعمالهم وفضائلهم، فالثواب والعقاب هما أمور مقدرة على الإنسان منذ الأزل. وهذا النوع من القدرية لم يقبل به لوثر، أما المؤمنين العابدين الزاهدين في ترف العيش فقد ميزهم كالفن على أنهم الصفوة التي أختارها الله منذ الأزل، وأراد لها الخلاص، وفي موضوع خضوع الكنيسة للدولة فقد كان كالفن يرى أن تخضع الدولة، وجميع سلطاتها لتلك القلة التقية الورعة العاملة في سبيل المسيحية، ويمكن في ضوء ذلك إقامة المجتمع الديني الذي يتصف أهله بحسن الخلق وصفات القديسين، وتكون واجبات المملوك فيه خدمة الدين، والعمل وفقاً لما أنزله الله في الكتاب المقدس.

أقام كالفن في مدينة جنيف بسويسرا نموذج لمجمعه المسيحي، إذ تأسست هيئة من كبار رجال الدين لحكم الكنيسة، ومجتمعاً كنسياً من القسس، وكبار المواطنين الصالحين لحكم المدينة، وقد فرض كالفن حياة التقشف والزهد على سكان مدينة جنيف، ومنع الاحتفالات والرقص والموسيقى في هذه المدينة، وكما أقام فيها أكاديمية لتكون مركزاً لتخريج الدعاة والقسس البروتستانت، ينطلق منها المبشرون إلى البلدان الأوروبية المختلفة، ولم يكن عبثاً أن أعدت جنيف في عهده (روما البروتستانت).

احتل العمل مكانة مهمة في فكر كالفن، إذ رفض النظرة السلبية تجاه الحياة الدنيوية، فكان يدعو إلى النشاط الخلاق، ومن هنا عارض الترف ودعا إلى التقشف، وتقليص أيام العطل والأعياد، كما دعا إلى تنظيم الاقتصاد العائلي، ومحاربة النزعة الاستهلاكية لدى الناس، وأكد على أهمية النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بدعمها لحركة الإصلاح. (٢١٩)

أصبحت الكالفنية مذهباً دينياً عالمية، وقد انتشرت بين عدد كبير من سكان المجر و بوهيميا وبولندا، كما انتشرت في فرنسا موطن كالفن، خاصةً في النصف الثاني من القرن السادس عشر، الذي شهد

هناك حركة دينية سياسية واسعة مرتبطة بالكالفنية، وسمى أتباع كالفن في فرنسا الهيكونوت، كما أنتشر في الأراضي المنخفضة (بلجيكا وهولندا)، حتى وصلت الكالفنية إلى اسكتلندا وانكلترا . وبذلك انقسمت أوروبا إلى معسكرين الأول الكاثوليك (أنصار البابوية) وأما الثاني فهم البروتستانت، وكان من نتائجها وقوع حرب طويلة بين المذهبين، وأيضاً حدثت اضطهادات عنيفة وثورات عديدة، كان لها أثر كبير في تاريخ دول أوروبا .